محاضرة بعنوان:

قوله تعالى:

(وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا)

مقدمة إلى مؤتمر الدولي
لجامعة خليفة الشيخ إسحاق رابع (خيرون)

بقلم
الدكتور/ أبي بكر بن محمد الثاني بن أحمد (مَطَاتَيْ)

يناير٢٠٢٦م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد:

فإنّ من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى تلاوة كتابه العزيز، وقد أمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم فقال:

﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وهو أمرٌ يشمل الأمة كلّها، لما في الترتيل من تعظيمٍ لكلام الله، وتدبرٍ لمعانيه، وتأثيرٍ في القلوب والسلوك.

أولاً: معنى الترتيل

الترتيل في اللغة هو: التأني وحُسن التنسيق.

وفي الاصطلاح: قراءة القرآن على مهل، مع إخراج الحروف من مخارجها، وإعطاء كل حرف حقَّه ومستحقَّه، مع حضور القلب وتدبر المعنى.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. كما في (التمهيد في علم التجويد) لابن الجزري ص٤٣.

ثانيًا: فضل ترتيل القرآن

محبة الله وأجره العظيم: قال النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة». صحيح مسلم رقم (٧٩٨)

طمأنينة القلب: فالقرآن المرتَّل يبعث السكينة والخشوع.

التأثر والعمل: الترتيل يعين على الفهم والتدبر، ومن ثم الامتثال.

الرفعة في الدرجات: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها». الترمذي رقم (٢٩١٤).

ثالثًا: العلاقة بين الترتيل والتدبر

ليس المقصود من الترتيل تحسين الصوت فحسب، بل تحريك القلب.

فالقرآن نزل ليُتدبَّر لا ليُهذّ فقط بالأصوات، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

وكان السلف يقفون عند الآية الواحدة يكررونها حتى تفيض قلوبهم خشية.

رابعًا: آداب ترتيل القرآن

الإخلاص لله تعالى.

الطهارة واستقبال القبلة إن تيسر.

تحسين الصوت دون تكلّف.

الوقوف عند آيات الوعد والوعيد.

العمل بما يُتلى، فخير التلاوة ما أثمرت عملًا.

فبالتدبر والتأني يدرك معجزة القرآن فإنها كثيرة لا تحصى.

فأنت إذا تدبرت قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

وقوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

وقوله تعالى ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾. ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى ﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية وهي الآية التي لما سمعها الوليد بن المغيرة قال: [والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر]. كما في الشفا للقاضي عياض ص٥٠٧.

وقوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وحكاية الأصمعي مع الجارية معلومة.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. وقصة ابن المقفع في ذلك معروفة.

وقوله تعالى:(قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ).

فإن البلاغيين أخرجوا أحد عشر علما من قول النملة هذه فقالوا فيه نداء وكناية وتنبيه وتسمية وأمر وقصة وتحذير وتخصيص وتعميم وإشارة وتعذير.

خامسًا: واقعنا مع القرآن

كثيرٌ منا يقرأ القرآن بسرعة طلبًا للختم، ويغفل عن روح التلاوة.

فلنراجع علاقتنا بكتاب الله، ولنجعل لنا وردًا مرتلًا متدبرًا، ولو قلّ، فإن القليل مع التدبر خير من الكثير مع الغفلة.

خاتمة

إنّ الأمر الإلهي: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ دعوةٌ لإحياء القلوب، وتزكية النفوس، وبناء الإنسان على هدي القرآن.

فلنرتل القرآن بألسنتنا، ولنجعله دستورًا لحياتنا.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهله وخاصته، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.